

افتتاحية

فتح علم الاجتماع على العالمية^(*)

ستيڤان دوفوا

أستاذ علم الاجتماع، جامعة باريس نانثير.

ساري حنفي

أستاذ علم الاجتماع، الجامعة الأمريكية في بيروت
ورئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع.

في عام 1995، دعا تقرير لجنة غالبنكيان بقيادة إيمانويل فالرشتاين - الذي وافته المنية مؤخراً في 31 آب/أغسطس - إلى «فتح العلوم الاجتماعية» من خلال إعادة التفكير في شروط تعددية التخصصات والتميز الكلاسيكي بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية. ومع ذلك، فإن الدعوة لقبول الطابع - الغربي - للتراث الاجتماعي والتغلب على المعارضة التبسيطية بين العالمية (Universalism) والخصوصية لا تزال ضمن إشكاليات العلوم الاجتماعية. منذ ذلك الحين، دعا الرؤساء السابقون للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، مثل ميشيل فيفيوركا أو مايكل بوراوي، إلى مزيد من التفكير السوسيولوجي العالمي ودعم مختلف علماء الاجتماع الوطنيين. بعد مرور سبعين عاماً على عقد المؤتمر التأسيسي لـ ISA في أوسلو (أيلول/سبتمبر 1949)، يبدو

(*) هذه ترجمة للنسخة الفرنسية: Stéphane Dufoix and Sari Hanafi, «Ouvrir la sociologie au monde et à l'universalité.» *Libération* (France), 6/9/2019, <https://www.liberation.fr/debats/2019/09/05/ouvrir-la-sociologie-au-monde-et-a-l-universalite_1749489>.

من الممكن والمرغوب فيه المضي أبعد من ذلك في اتجاه افتتاح علم الاجتماع، خاصة في ثلاثة اتجاهات محددة:

- أولاً، وقبل كل شيء أن نفتح أعين عدد كبير من علماء الاجتماع في الدول الغربية - وليس فقط منهم - على البعد العالمي لاتجاهات فكرية ومرتبطة بالاختصاص لم تكن تقتصر بأي حال على الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة أو فرنسا أو ألمانيا. مستوحين من أعمال أوغست كونت أو هربرت سبنسر، انطلقت الدراسات والتدريس والمؤلفات التي تستخدم تعبير «علم الاجتماع» بالفعل في كولومبيا أو فنزويلا أو الأرجنتين أو روسيا أو الصين. حتى اليوم، فإن معرفتنا بهذه القصص محدودة للغاية، كما هي الطريقة التي ندرس بها ماضي وحاضر الاختصاص في أمريكا اللاتينية وآسيا وأوروبا الوسطى والشرقية والوطن العربي وأفريقيا وأوقيانوسيا.

- ثانياً، لقد اقتصر تدريس التخصص عموماً في تاريخ علم الاجتماع على تاريخ النظريات الاجتماعية. فرضت الروابط التاريخية بين تطور العلوم الاجتماعية وتوسع الاستعمار الأوروبي وأمريكا الشمالية تقسيم عمل إبيستمولوجي (ولكن ليس فقط) بين الدول حيث اعتبر أن العمل النظري هو من اختصاص المركز فقط (وبالتالي في كثير من الأحيان الغرب). لذا هناك قائمة مؤلفين الذين يُعدّون «كلاسيكيين» يقرؤون من جانب طلاب علم الاجتماع هم أنفسهم دائماً تقريباً في جميع البلدان وهم أغلبيتهم ذكور غربيون. لذا، يجب فتح هذه الأدبيات الكلاسيكية على علماء الاجتماع من الرجال والنساء من دول غير غربية ممن أنتجوا أعمالاً نظرية و/أو إبيستمولوجية و/أو إمبيريقية كبرى (ألبرتو غويريرو راموس، وأري سيتاس، وأورلاندو بوردا فالس، وإيراواتي كارفي، وأكينسولا أكويوو، وفاطمة المرنيسي، فاي شياو تونغ، أنور عبد الملك، علي الكنز أو تسورومي كازوكو على سبيل المثال لا الحصر). يجب أن يشمل أيضاً أولئك الذين خضعوا، في البلدان الغربية، لتمييز جندي أو عنصري (هاربيت مارتينو، دابليو دابليو دوبواز، مريان فيبر أو جين أدامز). لا يهدف هذا الانفتاح إلى استبدال الأدبيات «السننية» (Canons) بعودة السنني أو الكهنوتي المضاد، أو حتى فتح قائمة المؤلفين إلى ما لانهاية لمعارف الطلبة، وإنما هي تهدف قبل كل شيء إلى تقديم صورة دقيقة تاريخياً لولادة علم الاجتماع، ولكن أيضاً لإعادة كبح ديناميات علاقات القوة (الجغرافية والعرقية والجنسية) في قلب التفكير في تمأسس وتطور الاختصاص العلمي.

- ثالثاً، تهدف مسألة تاريخ علم الاجتماع وتشكل الأدبيات «السننية» في النهاية إلى فتح معنى العالمي. إن البحث عن قوانين عامة للتطور الاجتماعي، والرغبة في نمذجة علم الاجتماع على شاکلة العلوم الطبيعية، إضافة إلى المركزية - الأوروبية للنظريات الكلاسيكية، أدى كل ذلك في كثير من الأحيان إلى الخلط بين شكلين من أشكال العالمية: الشكل الأول، السعي الوضعي (Positivist) لمفاهيم ذات طبيعة عابرة للتاريخ والجغرافيا؛ والشكل الثاني، هو افتراض أن هناك علماء للاجتماعي الذي سيتم من خلاله فصل إنتاج المعرفة عن الاستعدادات (Dispositions) الثقافية والاجتماعية لمنتجي المعرفة. لمتابعة هذا

الافتراض الأخير، لا يمكن تفسير المعرفة الاجتماعية وفهمها سوسيولوجياً! على الرغم من ذلك، فإن التخلي عن هذا الشكل من العالمية لصالح فكرة أن إنتاج المعرفة موقعاً اجتماعياً وثقافياً يجب أن لا يؤدي إلى النسبية المطلقة، وإنما إلى تحويل وضع العالمي (Universal). العالمي ليس موجوداً دائماً: إنه نتاج تاريخي للنضال من أجل تعريف ماهية علم الاجتماع. لذلك يمكن تصورها وأفهمتها في التوتر بين العام والخاص، بين العالمي والمحلي. يجب بناء العالمية دائماً في النقاش وفي الصراعات والحوار واليوم وغداً.

صدر حديثاً عن مركز دراسات الوحدة العربية

السُّبُلُ وَالْمُنَى فِي صِنَاعَةِ الْفَقْرِ وَالْغِنَى

حسن بوكرين



220 صفحة

الثمن: 14 دولاراً

يُقدِّم هذا الكتاب برنامجاً متكاملًا وخطة مُحكمة لنقل مجتمعاتنا العربية من حالة التبعية والتخلف إلى الحرية والإزدهار. إنه كتاب جمع صاحبه فيه مقترحات عملية من أجل تطوير سياسات اقتصادية تُمكن مجتمعاتنا من القضاء على الفقر واللامساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية والتقدم والرفاهية. استطاع المؤلف، من خلال تحليل المسار الاقتصادي للمجتمعات الحديثة ودراسة أنظمتها السياسية، أن يبيِّن أصل العلل كأسباب الفقر والبطالة والتخلف، كما يبيِّن في المقابل المُتطلَّبات اللازمة للحصول على الغنى وتوفير التوظيف الكامل وضمان التقدم. بناءً عليه، يوضح الكتاب كيف يمكن الدولة أن تصنع الثروة وتوزعها توزيعاً عادلاً بين جميع أفراد المجتمع، وذلك من خلال استخدام مصرفها المركزي واتباع سياسات اقتصادية واجتماعية معيَّنة. كما يشدد على أن استقلالية الحكومة الوطنية وسيادتها في المجال المالي أمران أساسيان من شأنهما إزالة كل القيود على الموازنة وتمكين الحكومة من تمويل كل المشاريع التنموية، بدءاً بالاستثمار في البنية التحتية، مروراً بسياسة التوظيف الكامل، وصولاً إلى الاستثمار في التعليم والبحث العلمي والابتكار من أجل تحقيق التقدم التكنولوجي والصناعي.